أثر الغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية على حضارة المايا خلال القرن السادس عشر الميلادي

طالبة الدراسات العليا: روكن محمود حسي إشراف أ. د: حسام جميل النايف

مُلخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر الغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي على حضارة المايا العريقة، والتي تُعد من أبرز الحضارات التي قامت في منطقة أمريكا الوسطى، كما يهدف البحث في بدايته إلى إبراز جوانب القوة والازدهار في حضارة المايا قبل الغزو، مُشيراً إلى إنجازاتها المتميزة في علوم الفلك والرياضيات والكتابة والعمارة، ثم يتوجه البحث نحو تحليل مُعمق للأسباب المُتعددة التي اجتمعت لتُفضي إلى اضمحلال حضارة المايا بعد قدوم الإسبان، ويُركز البحث على شرح كيف أدى الغزو إلى هدم مُدن المايا المُستقلة وضمها قسراً للإمبراطورية الإسبانية، وإحلال النظام السياسي الإسباني الاستعماري محل نظام الحكم المايا وي الأصيل، الأمر الذي نتج عنه فقدان النخب المايا وية لسلطتها ومكانتها، وتهميش السكان الأصليين وإقصائهم عن مراكز القرار والتأثير.

الكلمات المفتاحية: أمريكا اللاتينية، حضارة المايا، الغزو الإسباني، انهيار.

The impact of the Spanish conquest of Latin America on the Mayan civilization during the sixteenth

Graduate Student: Roken Mahmoud Hassi Supervised: Prof. Dr. Hossam Jameel Al-Nayef

Abstract:

This research seeks to examine the impact of the Spanish conquest of Latin America in the sixteenth century on the ancient Mayan civilization, one of the most prominent civilizations to have existed in Central America. The research initially aims to highlight the strength and prosperity of the Mayan civilization before the conquest, highlighting its outstanding achievements in astronomy, mathematics, writing, and architecture. The research then turns to an in-depth analysis of the multiple reasons that combined to lead to the decline of the Mayan civilization after the arrival of the Spanish. The research focuses on explaining how the conquest led to the destruction of independent Mayan cities and their forced annexation to the Spanish Empire, and the replacement of the authentic Mayan system of government with the Spanish colonial political system. This resulted in the loss of power and status for the Mayan elites, and the marginalization of the indigenous population and their exclusion from centers of decision-making and influence.

Keywords: Latin America, Mayan civilization, Spanish conquest, collapse.

مُقدمة:

يمثل الغزو الإسباني للأمريكيتين في القرن السادس عشر الميلادي منعطفاً تاريخياً بالغ الأهمية على المستوى العالمي، حيث أفضى إلى تحولات جذرية في المشهد السياسي والثقافي والاقتصادي للقارة الجديدة، ومن بين الحضارات التي واجهت هذا المد الاستعماري، تظهر حضارة المايا العريقة كأحد أبرز الأمثلة، تلك الحضارة التي كانت قد بلغت أوج مجدها في الحقبة الكلاسيكية ثم انحدرت قبل وصول الإسبان.

ولطالما استحوذت مسألة أفول حضارة المايا على اهتمام الباحثين والعلماء، وتنوعت التفسيرات والنظريات حول الأسباب الكامنة وراء تدهور هذه الحضارة العظيمة في القرون التي سبقت وصول الإسبان، غير أن الغزو الإسباني في القرن السادس عشر الميلادي شكل عاملاً محورياً في مسار تاريخ المنطقة، إذ فرض واقعاً جديداً على ما تبقى من تجمعات المايا.

فقد كانت المايا، التي ازدهرت في رقعة جغرافية تمتد عبر ما يعرف اليوم بجنوب شرق المكسيك وغواتيمالا وبليز وهندوراس والسلفادور، حضارة متفردة، تركت أثراً راسخاً في سجل الإنسانية، بإرث ضارب في القدم يمتد لآلاف السنين، ولقد طورت نظاماً كتابياً متقناً، وبرعت في علوم الفلك والرياضيات بدقة لافتة، وأقامت مدناً فخمة ومعابد شاهقة، وأبدعت فنوناً رائعة تعكس رؤية كونية عميقة.

- **أهمية البحث:**

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على فهم التحولات التي شهدتها الحضارة المايانية في القرن السادس عشر الميلادي، كما يقدم نموذجاً هاماً لتحليل آليات الاستعمار الأوروبي في العالم الجديد، وتأثيراته على المجتمعات الأصلية، ويسعى

البحث لإبراز قيمة التراث الثقافي والحضاري المتنوع الذي كانت تزخر به الأمريكيتان قبل الاستعمار، وتقدير قيمة حضارة المايا وإنجازاتها.

- **أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى استكشاف جوانب متعددة من حضارة المايا في القرن السادس عشر الميلادي، بما في ذلك ديانتها وعلومها وعمارتها ويركز بشكل رئيسي على تحليل العلاقة بين الغزو الإسباني والتغيرات العميقة التي طرأت على هذه الحضارة، ويسعى البحث إلى تقييم تأثير العوامل الداخلية: مثل الصراعات الداخلية بين مدن المايا، والتدهور البيئي الذي ربما واجهته، والتغيرات الاجتماعية التي كانت تشهدها مجتمعات المايا قبل الغزو، وتحليل تأثير العوامل الخارجية التي جلبها الغزو الإسباني: مثل انتشار الأمراض الفتاكة، والحروب المدمرة، والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي الذي مارسه المستعمرون الإسبان.

- **مشكلة البحث:**

تكمُن مشكلة البحث في تحليل طبيعة العلاقة السببية بين الغزو الإسباني وتدهور حضارة المايا، وتحديد العوامل الداخلية التي ربما كانت تؤثر في مسار حضارة المايا قبل وصول الإسبان، والعوامل الخارجية التي فرضها الغزو الإسباني، وبالتالي، يهدف البحث إلى الكشف عن مدى تأثير الغزو الإسباني تحديدًا في مصير حضارة المايا، **ويمكن صياغة هذه الإشكالية بشكل أكثر تفصيلاً من خلال طرح الأسئلة التالية:**

1. ما هي الإنجازات الحضارية لشعب المايا؟
2. هل يمثل الغزو الإسباني العامل الرئيسي في تفسير انهيار حضارة المايا، أم أنه مجرد عامل ضمن مجموعة من العوامل الأخرى؟
3. كيف تجلى تأثير الغزو الإسباني على مختلف جوانب حضارة المايا؟

4. مـا هـي أهـم النتـائج السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية والثقافيـة التـي أحـدثها الغـزو الإسباني في مجتمعات المايا؟

- **منهجية البحث:**

تم الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي كوّنه يقوم على دراسة وتحليل الأحداث والظواهر التاريخية، ويسعى إلى تحليل الأسباب، والنتائج، والتأثيرات التي نتجت عن الأحداث، والمنهج الوصفي لوصف الأحداث التاريخية بشكل دقيق.

- **عرض البحث:**

أولاً: الإرث الحضاري لشعب المايا:

1) النطاق الجغرافي وجذور شعب المايا:

أ- النطاق الجغرافي:

تمتد رقعة حضارة المايا الجغرافية، موطن شعب المايا، على مساحة تُقدر بين 311 ألف و325 ألف كيلومتر مربع، ويستند هذا التقدير إلى انتشار الآثار المایاوية في منطقة أمريكا الوسطى، وهي منطقة متنوعة التضاريس والمناخات، ومن الناحية الجغرافية، تبدأ هذه المنطقة من شبه جزيرة يوكاتان شمالاً، الواقعة في جنوب شرق المكسيك، والتي تمثل الحد الشمالي لأراضي المايا، كما تمتد جنوباً عبر غابات وأراضي غواتيمالا والهندوراس، هاتين الدولتين اللتين تقعان جنوب يوكاتان وتشكلان الحد الجنوبي للنطاق الجغرافي للمايا، كما يشمل نطاق المايا أجزاء من بليز والسلفادور، وتتميز هذه المنطقة بتنوعها البيئي، حيث تضم غابات مطيرة كثيفة، وسهول ساحلية، ومرتفعات

جبلية، مما أثر بشكل كبير على تطور الزراعة والاقتصاد والثقافة المایاوية، كما يمكن تقدير الأبعاد التقريبية لهذا النطاق بحوالي 900 كيلومتر طولاً من الشمال إلى الجنوب، وعرض يصل إلى 550 كيلومتر في أقصى اتساع من الشرق إلى الغرب، ليضيق العرض في المناطق الشمالية إلى حوالي 150 كيلومتر، وتقع هذه المنطقة الحيوية ضمن نطاق خطي العرض 14 و20 درجة شمالاً[1].

ب- جذور شعب المايا:

يتفق العلماء والباحثين على أن الدلائل الأثرية تشير إلى ظهور الإنسان العاقل في الأمريكيتين لأول مرة قبل حوالي 20 ألف عام قبل الميلاد، ويُعزى هذا الظهور إلى موجات هجرة متعاقبة انطلقت من قارة آسيا، عبر ممر بيرينغ[2]، وعلى الرغم من الإجماع العام حول هذا المسار، لا يزال تحديد نقطة الانطلاق الدقيقة لهذه الهجرات ضمن قارة آسيا موضع شك، فبينما يرجح فريق من الباحثين أن منطقة سيبيريا كانت نقطة البداية، ويستندون في ذلك إلى وجود تشابهات ملحوظة في المخلفات الأثرية، إذ يرون أن الخصائص المميزة للأدوات والمخلفات المادية التي تركها السكان الأوائل في الأمريكيتين تعكس أنماطاً ثقافية وتقنية مماثلة لتلك التي عُثر عليها في سيبيريا، في المقابل، يتبنى فريق آخر وجهة نظر مختلفة، مؤكدين على أن منغوليا تمثل نقطة انطلاق أكثر احتمالية، ويستدلون على ذلك بتطابق السمات الفيزيولوجية بين السكان الأصليين للأمريكيتين وبين

(1) GENDROP, P1978- **Les Mayas,** Presse Universitaire De France, Paris, Ed:1, P:21.

(2) **شورز**، وليم: **هذا العالم الجديد حضارة أمريكا اللاتينية**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1970، ص49.

سكان منغوليا، بل ويتجاوز بعض الباحثين هذه الفرضيات، مشيرين إلى احتمالية أن تكون مناطق جنوب شرق آسيا قد أدت دوراً في هذه الهجرات المبكرة[3].

وفي سياق آخر، تبرز بعض الدراسات الأنثروبولوجية التي تشير إلى فرضية مثيرة للاهتمام حول أصول شعب المايا الأوائل، إذ تظهر هذه الدراسات وجود تشابهات لافتة في الحجم بين جماجم المايا القديمة وجماجم سكان هضبة إيران، مما أثار تكهنات حول احتمال وجود صلة تاريخية، وإن كانت غير مباشرة، بالحضارة السومرية القديمة[4].

تشير أقدم الشواهد على ظهور شعب المايا ونشأة حضارتهم المدنية إلى حوالي عام 2000 قبل الميلاد، وتحديداً في منطقة غواتيمالا، وتفيد الأدلة بأن أصول المايا تعود إلى غرب ما يعرف حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث شكلت هجرتهم هذه المرحلة الثانية من أصل أربع هجرات رئيسية[5]، وقد نجمت هذه التحركات السكانية بشكل أساسي عن تأثيرات التغيرات المناخية، يضاف إلى ذلك عوامل سياسية ودينية.

عايشت حضارة المايا العديد من التجمعات السكانية الأخرى، سواء كانت دولاً قائمة أو قبائل، وتقاسمت معها سمات مشتركة في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية. وقد تراوحت

(3) **نجم**، حسن طه: **أمريكا اللاتينية أرضاً وسكاناً**، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1990، ط1، ص45-46.

(4) THOMPSON,J -1978, **Grandeur Et Décadence De La Civilisation Maya,** Payot, Paris ,1958, P:50.

(5) GENDROP, **Les Mayas,**P:23.

علاقات المايا مع هذه الشعوب بين السلمية، التي تجلت في التبادل التجاري النشط وعلاقات المصاهرة، وبين فترات من الصراعات المسلحة والحروب، لعل أبرز ما ميز حضارة المايا عن بعض الحضارات الأخرى في المنطقة، مثل **الأولمك**[6] و**الأزتك**[7] (مع الأخذ في الحسبان تباين فترات ازدهارها)، هو توجهها السلمي وطابعها المتحضر[8]، فقد كان المايا شعباً يجنح إلى السلم ويتجنب الحرب قدر الإمكان، وركز اهتمامه بشكل كبير على الزراعة وتطوير تقنيات استغلال الأرض ومواردها الطبيعية. كما أظهروا براعة فائقة في العلوم والفنون.

غير أن هذه الحضارة، التي اتسمت بالسلمية والتحضر، شهدت تحولات كبرى في القرن التاسع الميلادي، تضمنت تأثيراً متزايداً من قبل شعوب **التولتك**[9]، بل وغزواً في بعض المناطق. وقد دفع

---

[6] **الأولمك:** هي أقدم حضارة رئيسية ظهرت في منطقتي غواتيمالا والمكسيك، وقد نشأت هذه الحضارة تدريجيًا في منطقة سوكونوسكو والأراضي المنخفضة التي تُعرف اليوم بغواتيمالا، استقر الأولمك في المناطق الاستوائية المنخفضة جنوب ووسط المكسيك، وتحديدًا في ولايتي فيراكروز وتاباسكو الحاليتين، يُعتقد أن حضارة الأولمك تطورت بالاعتماد جزئيًا على ثقافتي موكايا وميكسي زوكي المجاورتين

CHARLES and GEORGE, L-2010, **Maya Civilization**, Lucent Books, United States of America, P:22.

[7] **الأزتك:** مجموعة من قبائل الهنود الحمر التي عاشت في المكسيك، واسمها مشتق من لفظ أزتلان ومعناه الأرض البيضاء ومهدها في الشمال الغربي من بلاد المكسيك الحالية، **مؤنس**، حسين: **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص:209

[8] GENDROP, **Les Mayas,** P:50.

[9] **التولتك:** هم شعوب حكموا المكسيك بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلادي واسمهم مأخوذ من عاصمتهم تولا، وهي موجودة 80 كم شمال تينوتشتيتلان، وانتهت حضارتهم عندما غزاهم شعب تشيتشيميك وهم من البدو الرحل، مؤنس، **الحضارة**، ص:210.

هذا الوضع أعداداً كبيرة من المايا إلى التحرك شمالاً نحو منطقة يوكاتان، حيث لحق بهم التولتك لاحقاً، وقد أدت هذه التفاعلات إلى تشكيل المرحلة الثانية في تاريخ حضارة المايا[10].

2) الديانة المایاوية:

تكتنف دراسة الديانة والمعتقدات لدى حضارة المايا خلال العصر الكلاسيكي صعوبات جمة، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى الشح في المصادر الأولية المباشرة التي تعكس هذه الجوانب من حياتهم، فالمعلومات المتوفرة تقتصر على مجموعة محدودة للغاية من الكتابات، تشمل بعض كتابات القساوسة الإسبان من القرن السادس عشر الميلادي، أبرزها كتابات دي لاندا، إلى جانب نصوص مايانية أعيد تدوينها بالأبجدية اللاتينية مثل كتابي "بوبول فو" و"شيلام بلام"، يضاف إلى ذلك المخطوطات الثلاثة المتبقية التي نجت من التدمير، ونظراً لعدم كفاية هذه المواد لتوفير فهم شامل ومتكامل، اضطر الباحثون للاعتماد المكثف على المخلفات الأثرية والشواهد المادية، وقد تركز الاهتمام بشكل خاص على دراسة النقوش المنحوتة على المباني، كالمعابد والقصور، والتي غالباً ما تحمل في طياتها مضامين دينية وفلسفية وكونية تعبر عن نظرة المايا للعالم وطبيعة طقوسهم، علاوة على ذلك، سمح النجاح في فك رموز الكتابة المايانية بتوسيع نطاق التحليل ليشمل الرسوم

[10] **لنتون**، رالف: **شجرة الحضارة**، تر: أحمد فخري، تقديم: أحمد الشلق، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2010، ج3، ص398.

المصورة على الأواني الخزفية، وتُعد هذه الرسوم مصدراً مهماً للكشف عن جوانب مختلفة من الأساطير والمفاهيم المرتبطة بالديانة المايانية[11].

نظر شعب المايا إلى العالم باعتباره كياناً حياً مترابطاً، مما دفعهم إلى إسقاط الصفات البشرية على قوى الطبيعة المتنوعة، وقد ظلوا متمسكين بمعتقدات تقليدية تفترض وجود أرواح في جميع الكائنات الحية[12]، وفيما يتعلق برؤيتهم للكون، اعتقدوا بوجود تسعة عوالم سفلية، يحكم كل منها إله، أما الأرض، التي تمثل عالم الحياة، فقد كانت تقع في موضع وسط بين السماوات والعوالم السفلية، وغالباً ما صورت في رسوماتهم كسلحفاة تسبح في بحيرة[13] .

تشكلت الطقوس الدينية لدى المايا انطلاقاً من اعتقادهم بقصة الخلق، التي تؤكد أن البشر خُلقوا خصيصاً لخدمة الآلهة وتلبية احتياجاتهم، وانعكست هذه الفكرة بوضوح في ممارساتهم الروحية، ولتعزيز هذا الإيمان داخل المجتمع، كان الملوك والملكات من حكام المايا يعيدون تمثيل قصة الخلق من خلال رموز وطقوس دينية تقام في معظم احتفالاتهم.

وتماشياً مع سمات الثقافات الوثنية الأخرى التي تضمنت تنوع الآلهة، اتسمت آلهة المايا بتعدد هوياتها وتغيرها بناءً على قواها ووظائفها، وكان الإله "كينيتش أجاو" مثالاً لافتًا على هذا التعدد،

---

(11) DEAMREST, A-2004, **Ancient Maya, The Rise and Fall of a Rainforest Civilization**, Cambridge University Press ,Newyork,P17.

(12) **موسينيه**، رولان، **لابروس**، أرنست: **تاريخ الحضارات العام**، منشورات عويدات، بيروت، د.ت، ج4، ص455.

(13) DEAMREST, **Ancient Maya**, P179.

إذ جسد الشمس والملكية والحرب والتضحية، ومع ذلك، فإن تمثيله الفني كان يختلف شكلاً واسماً بحسب المنطقة التي يُعتقد أنه يسيطر عليها[14].

تُعد شخصية "إتزامنا" (Itzamnaa)في حضارة المايا أحد أعظم الرموز الإلهية وأكثرها أهمية، إذ يُجسد مفهوم الخالق الأسمى الذي يُمثل مصدر الوجود لكل العناصر، يُشير الباحثون إلى أن "إتزامنا" هو الإله الجامع الذي تتبع منه جوانب الطبيعة المختلفة، مثل الشمس والمطر وغيرها من الظواهر، ويُستدل من اسمه على معنى لغوي يعبر عن "بيت الثعبان الزاحف" أو "بيت العظاءة"[15]، حيث يعكس الثعبان في ثقافة المايا ارتباطه بالعوالم الثلاثة: السماء، الأرض، والعالم السفلي. في الفنون التصويرية لهذه الحضارة، يظهر "إتزامنا" عادةً كعجوز يحمل ملامح مميزة: عينان مربعتان، أنف روماني، فم يحتوي على ضرس واحد، وصدغ بارز، وقد يُجسد في هيئة امرأة مسنة يتوج رأسها ثعبان[16].

أما الإله "شاك" (Chac)، الذي يمثل المطر والرعد والبرق، فقد حظي بمكانة بارزة في معتقدات المايا كرمز للخصوبة والنماء الزراعي، ويُجسد "شاك" قوة واحدة تنبثق في الاتجاهات الأربع، ويُعتقد أنه يمنح الأرض الحياة والازدهار[17]، حيث يتميز بمظهر فريد يشمل وجهه ملامح مستوحاة من

(14) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization,**P69-71.

(15) DEAMREST, **Ancient Maya**, P180.

(16) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P71.

(17) **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص455.

الزواحف، خصوصاً الثعبان، مع أنف طويل يشبه الخرطوم وفم ذو أسنان بارزة، يتزين رأسه بزخارف متنوعة تتراوح بين كتل صغيرة تشبه القطن، ورأس أيل، وصولاً إلى عصا للحفر، تُكمل هذه الهيئة أقراط أسطوانية تتدلى من أذنيه، بينما يحمل بيديه أدوات مثل الرمح، الدرع، المجذاف، العصا، الحبل أو المشعل[18].

يتألف البانثيون المایاوي من آلهة متنوعة، تشمل إله الذرة الذي يرمز إلى الوفرة والازدهار كإله شاب، وآلهة أخرى تُعبر عن جوانب مختلفة من الوجود مثل الموت، الحرب، القمر، الانتحار، والأعداد، إلى جانب مجموعة من الآلهة الثانوية التي ترتبط بعناصر الطبيعة والحياة اليومية مثل المطر، الحقول، والأشجار[19].

3) اللغة ونظام الكتابة:

طوّر شعب المايا نظام كتابة فريد يتميز بتشابهه في مظهره الخارجي مع الكتابة الهيروغليفية المصرية، مما جعل البعض يُطلق عليه اسم "هيروغليفية المايا"، اعتمد هذا النظام على استخدام رموز تمزج بين تمثيل الكلمات والأصوات، ليصبح أداة أساسية لتوثيق مختلف أوجه حياتهم؛ فقد تم توظيفه لتسجيل الحسابات الفلكية، ووضع التقاويم، وتوثيق الأنساب، إلى جانب تدوين ملاحظاتهم اليومية.

---

[18] THOMPSON, **Grandeur Et Décadence**, P250.

[19] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص455.

ما يميّز كتابة المايا هو اعتمادها على صور رمزية قابلة للقراءة والنطق، وهو ما جعلها ذات قيمة كبيرة للتعبير عن أفكارهم، وقد خلف المايا آثاراً رائعة من نقوش محفورة على الأعمدة الحجرية وعتبات المنازل، يضاف إلى ذلك مخطوطات صنعت من لحاء الأشجار[20]، ومن الجدير بالذكر أن أقدم آثار لهذا النوع من الكتابة تعود إلى ما قبل عام 250 ميلادي في منطقة "سان بارتولو" الواقعة شمال غواتيمالا، والتي تعد بداية العصر الكلاسيكي في حضارة المايا.

تم العثور على العديد من النصوص التي خلفتها حضارة المايا في أماكن متعددة، بما في ذلك جدران المعابد والكهوف والأواني الخزفية، وأيضاً على الأحجار الكريمة والأصداف والمقتنيات التي استُخدمت في مقابر النبلاء، وتتميز هذه النصوص بوضوحها وجودتها العالية، وتعد المخطوطات التي تركها المايا أبرز المصادر لفهم ثقافتهم وكشف الأسرار المرتبطة بحضارتهم، حيث تتضمن هذه الوثائق تفاصيل الأحداث التاريخية التي عاشوها، بما في ذلك فترة الاستعمار، يضاف إلى ذلك طقوسهم الدينية واستكشافاتهم الفلكية، وقد تم تنظيم هذه المعلومات في صورة جداول وقوائم زمنية تضم تواريخ وأرقام هامة، إلى جانب نصوص مصحوبة بالصور التي توضح مراحل الحكم وانتقال السلطة بين القادة، والأساطير المتصلة بآلهتهم[21].

[20] **تدمري**، محمد غازي: **حضارات التاريخ الكبرى**، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، 2017، ط1، ج2، ص307.

[21] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P29.

كما يقوم نظام الكتابة الخاص بالمايا على الجمع بين العناصر الدلالية والصوتية، مما يعطيه طابعاً مميزاً، وتشمل الرموز المستخدمة نوعين رئيسيين:

– اللوغوغرامات: وهي علامات تحمل معاني دلالية كاملة وتمثل كلمات أو جذور كلمات.

– السيلابوغرامات: علامات صوتية تعبر عن المقاطع الصوتية، وتتكون إما من صوامت وصوائت معاً أو من صوائت فقط.

ارتبط نظام الكتابة لدى حضارة المايا بصفة مشتركة مع العديد من أنظمة الكتابة القديمة، مثل المصرية والصينية والمسمارية، فقد اعتمدت هذه الأنظمة على الجمع بين الرموز الدلالية والعناصر الصوتية لتحقيق التوازن بين الدلالة والمعنى الصوتي، فالاعتماد على اللوغوغرامات فقط كان سيؤدي إلى عدد هائل من الرموز وتعقيد الكتابة، مما قد يسبب صعوبة في الفهم والاستخدام، ولتفادي هذا الاشكال، طورت الحضارات القديمة طريقة تُعرف بالمكملات الصوتية Phonetic (Complements)، وهي علامات مضافة توضح النطق الصحيح للرموز الدلالية، وفي كتابات المايا، قامت السيلابوغرامات بدور أساسي كعنصر صوتي إضافي، مما أسهم في جعل النصوص أكثر وضوحاً ودقة[22].

[22] **د.كو**، مايكل، **ستون**، مارك فان: **قراءة رموز المايا**، تر: عزة عزت وأحمد منصور، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011، ص22.

4) الإبداع العمراني والفني:

تميزت مدن حضارة المايا، التي نشأت عبر مراحل تاريخية متعاقبة، بمستوى استثنائي من الابتكار والتفكير المتقدم، حيث برزت هذه القدرات بشكل جلي في الأهرامات الحجرية الشاهقة التي كانت تستخدم كمقابر لملوكهم، وفي مواقع مثل تيكال، تتجلى براعتهم من خلال تصميم أهرامات مزدوجة، حيث يقف معبدان هرميان متماثلان جنباً إلى جنب، ويُعتبر المعبد الأول والمعبد الثاني من أشهر هذه المنشآت.

أما الأهرامات التي شيّدها المايا في مدن مثل تيكال وبالينكي، يضاف إلى ذلك بيدراس نيجراس وكويريجوا وكوبان، فقد تم بناؤها باستخدام الحجر الجيري المُستخرج من المحاجر، مما يعكس مستوى متقدماً من مهارات العمارة وتقنيات البناء التي امتازت بها هذه الحضارة، وقد وصلت هذه الإنجازات إلى حد يُمكن مقارنتها بما حققته الإمبراطورية الرومانية في بعض النواحي، ورغم استعانة المايا بتقنيات الأقواس في مبانيهم، إلا أن تصاميمهم تميزت عن نظيرتها الرومانية؛ إذ ابتكروا الأقواس المقوسة، التي تعتمد على رصف طبقات متتابعة من الأحجار مع انحراف طفيف لكل طبقة، حتى تلتقي في النقطة العلوية، وقد استُخدمت هذه الأقواس المقوسة في مداخل المباني وكذلك في إنشاء أسقف مرتفعة داخل العديد من غرف أهراماتهم[23].

[23] CHARLES and GEORGE: **Maya Civilization**, P52.

اتسمت المعابد في حضارة المايا بطراز معماري مميز، حيث شُيدت على قمم أهرامات شاهقة مكونة من مصاطب متدرجة، وكان الوصول إلى هذه المعابد يتم عبر سلالم واسعة. غالباً ما كانت الأهرامات تُبنى من خليط قوي من الأحجار والتراب، ثم تُغلف بطبقة من الإسمنت أو الحجر المصقول لتكتسب متانة وأناقة، أما المباني المشابهة للقصور، فقد كانت تتألف في معظمها من مجموعات غرف تتربع فوق مصاطب منخفضة وغير منتظمة، ومن المرجح أنها كانت مخصصة لإقامة الكهنة أو الطبقة النبيلة، واشتهر المايا بإضافة طبقات جديدة على المباني الأصلية، مما أدى إلى ارتفاعها بشكل ملحوظ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك معبد تيكال، الذي وصل ارتفاعه إلى 53 متراً شاملاً الهرم والطابق العلوي[24].

أما فيما يتعلق بالفنون، فقد أدى الرسم دوراً مهماً في حضارة المايا، على الرغم من عدم وصوله إلى الشهرة التي حققها فن النحت، وقد تجلى ذلك في الرسوم الملونة التي زينت الجدران والزخارف، فضلاً عن الصور الإبداعية التي تميزت بها المخطوطات، وشهدت تقنيات دمج الألوان وتوزيعها تطوراً ملحوظاً، خاصة خلال فترة ما بعد الكلاسيكية، ولم تقتصر الألوان على كونها عناصر زخرفية فقط، بل حملت دلالات رمزية، حيث ارتبط اللون الأسود بالأسلحة، بينما عبر اللون الأصفر عن النبل، وقد بلغت الفنون ذروة تطورها واهتمامها خلال المرحلة الأخيرة من العصر الكلاسيكي[25].

---

[24] **رادين**، بول: **الحضارات الهندية في أمريكا**، تر: يوسف شلب الشام، دار المنارة، دمشق،1989، ط1، ص39-40.

[25] **رودريجث**، أوخينيو، **ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية**، تر: عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ص564.

5) الأسس الرياضية لعلم الفلك:

لقد كان تقدم المايا في علم الفلك نتيجة مباشرة لتطويرهم نظاماً رياضياً متقدماً يتسم بالتعقيد والابتكار، فقد اعتمدوا في حساباتهم على نظام عددي يقوم على الأساس العشريني، بدلًا من النظام العشري المعروف، أما المدهش في إنجازاتهم هو تبنيهم لمفهوم الصفر قبل نحو عام 36 قبل الميلاد، مما جعلهم من أوائل الحضارات التي أدركت أهمية هذا المفهوم المجرد والمعقد، ولم يصل مفهوم الصفر إلى أوروبا إلا في العصور الوسطى من خلال انتقاله من الهند عبر الحضارة العربية، وهذا الاكتشاف أسس لأساسيات الرياضيات المتقدمة، بعكس الأرقام الرومانية التي افتقرت إلى الصفر كونه رمز يعبر عن العدم، لقد كان اهتمام المايا بالوقت ورصد حركته يتجاوز أي حضارة أخرى، وهو ما دفعهم لتوظيف علم الفلك والرياضيات في إنشاء تقويم دقيق للغاية، سبق التقويم الغريغوري المستخدم حالياً بأكثر من ألف عام، وتميز بكونه أكثر دقة[26].

أما فيما يتعلق بعلم الفلك، فقد أبدع المايا في مراقبة السماء وتتبع حركة الأجرام السماوية مثل الشمس والقمر والكواكب، ما مكنهم من التنبؤ بالظواهر الفلكية وربطها بمعتقداتهم وطقوسهم، حيث كانوا يعتقدون أن الظواهر الكونية تحمل إشارات وعلامات تستوجب الاهتمام، وعلى وجه الخصوص

[26] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P59.

كان للقمر مكانة خاصة، إذ اعتُبر خسوفه نذيراً سيئًا وفقاً لاعتقادات الكتبة الفلكيين في تلك الحضارة[27].

6) نظام التقويم المايانى:

تميزت تقاويم حضارة المايا بكونها واحدة من أكثر النظم التقويمية تعقيداً وتطوراً في تاريخ أمريكا الوسطى القديم، حيث أن الجذور الأولى لهذه التقاويم ظهرت في منطقة الزابوتيك[28] كأداة للتنبؤ بالطقس ومتابعة المواسم الزراعية، قبل أن تنتقل تدريجياً إلى ثقافة المايا عبر التفاعل مع حضارات أخرى مثل الأولمك، إضافة إلى شعوب أخرى كانت تقطن المناطق الغربية والجنوبية الغربية لأراضي المايا.

اعتمدت هذه التقاويم بشكل رئيسي على المراقبة الدقيقة للظواهر الفلكية، حيث شكلت الاعتدالات الشمسية، التي يتساوى خلالها طول الليل والنهار، والانقلابات الشمسية، التي تحدد أطول وأقصر أيام السنة، دوراً محورياً في تشكيل أساساتها، ومن أجل تحقيق دقة عالية في رصد هذه الظواهر، شيد شعب المايا مباني هندسية متقنة التصميم، تم توجيهها بدقة فائقة لتتيح مراقبة

---

[27] **د.كو، ستون: قراءة رموز المايا**، ص41.

[28] **الزابوتيك:** يشير مصطلح الزابوتيك إلى مجموعة لغوية وعرقية تطلق على نفسها اسم بينيزا، أو "شعب السحاب". يقع الزابوتيك في وسط وجنوب أواكساكا بالمكسيك، ويحتلون أربع مناطق بيئية مميزة – الوادي، والمرتفعات، والبرزخ، ومنطقة مياواتلان – ويتحدثون ما لا يقل عن ست لهجات غير مفهومة بشكل متبادل. Leonard, T,2010, **Encyclopedia of Latin America**, Facts On File, Inc. An Imprint of InfoBase Publishing, New York, Vol:1, P325.

شروق الشمس وغروبها، إضافة إلى متابعة الأجرام السماوية من مواقع محددة داخل تلك المنشآت[29].

عرفت حضارة المايا نظاماً تقويمياً استثنائياً يُدعى "الدورة المقدسة"، وهو يمتد على مدار 260 يوماً ويقوم على تداخل 13 رقماً و20 رمزاً يعبر عن الأيام، كل رمز من هذه الرموز ارتبط بكائن إلهي أو قوة خارقة للطبيعة يُعتقد أنها تؤثر في شخصية الأفراد وأقدارهم بناءً على يوم ولادتهم، ولتوضيح هذه العلاقة، أدرج المايا في مخطوطاتهم القديمة جداول تنبؤية دقيقة استعرضت السمات الإيجابية والسلبية لكل رمز يومي، نتج عن هذا التفاعل بين الأرقام والرموز 260 تركيباً تنبؤياً مختلفاً، مما جعل الدورة المقدسة لا تقتصر على الأفراد فحسب، بل تؤثر أيضاً على المجتمع من خلال تحديد توقيت الاحتفالات والمهرجانات الدينية[30].

إلى جانب "الدورة المقدسة"، عرف المايا تقويماً آخر يُعرف بـ "السنة المشتركة" أو "هاب"، الذي امتد لـ 365 يوماً وشكّل دورة زراعية مكتملة، تكوّن هذا التقويم من 18 شهراً، يضم كل منها 20 يوماً، تلتها فترة إضافية من خمسة أيام عرفت باسم "وايب"، وقد اعتبر المايا هذه الأيام مشؤومة ولم تُدرج ضمن أسماء الشهور، ولكل شهر من الأشهر الثمانية عشر كان هناك راعٍ إلهي أو كيان خارق للطبيعة، ما يعكس البعد الديني العميق الذي شكل جزءاً لا يتجزأ من حياتهم وثقافتهم[31].

---

[29] Leonard, **Encyclopedia**.Vol:1, P201-202.

[30] **د.كو، ستون: قراءة رموز المايا**، ص44-45.

[31] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P60.

ثانياً: حركة الكشوف الجغرافية والتوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر الميلادي:

ينطلق تاريخ التوسع الأوروبي من عصر الاستكشافات الكبرى الذي بدأ في القرن الخامس عشر الميلادي واستمر حتى القرن السابع عشر الميلادي، وهو عصرٌ شكل منعطفاً محورياً في مسار التاريخ العالمي، لم تكن تلك الاستكشافات مجرد رحلات بحرية عابرة، بل مثّلت بداية لحقبة جديدة اتسمت بإنشاء إمبراطوريات استعمارية مترامية الأطراف خلال القرون التالية، وتحديداً القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادي، ومن الجدير بالذكر أن الدافع الديني شكل دوراً أساسياً في اكتشاف العالم الجديد، والذي يضم الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، حيث كانت رغبة نشر المسيحية خارج القارة الأوروبية دافعاً رئيسياً وراء تلك الرحلات الجغرافية، إلى جانب هذا الدافع شكّلت الطموحات التجارية عنصراً بالغ الأهمية في دفع حركة الاستكشافات، ففي القرن الخامس عشر الميلادي، كانت أوروبا تسعى للحصول على سلع الشرق الثمينة كالحرير والتوابل، والتي كانت تُنقل عبر مسارات تخضع لهيمنة قوى إسلامية مثل الدولة المملوكية والعثمانية، هذا الوضع دفع التجار الأوروبيين إلى البحث عن طرق جديدة وأكثر مباشرة للتجارة، تتخطى الأراضي الإسلامية، وقد تُوجت هذه المساعي بالكشف عن طريق بحري يصل إلى الهند وآسيا، والذي تجسد في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

لم تكن الدوافع التي وقفت وراء حركة الكشوف الجغرافية محصورة في البعدين الديني والتجاري فحسب، بل تداخلت معها عوامل أخرى جوهرية، مثل غريزة الفضول الفطري لدى الإنسان، والتوق

إلى استكشاف المجهول، والرغبة في توسيع المعرفة بالعالم[32]، وقد أسهمت هذه العوامل في تحفيز البحارة الأوروبيين على خوض مغامرات غير مسبوقة، مما أثمر عن إنجازات عظيمة غيّرت مجرى التاريخ، من أبرز هذه الإنجازات اكتشاف الأمريكيتين، الذي تحقق مع رحلة كريستوفر كولومبوس عام 1492م، والتي أطلقت العنان لاستعمار القارة الأمريكية، كما يُعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م بواسطة فاسكو دي جاما محطة بارزة، حيث أتاح هذا الطريق للأوروبيين الوصول إلى آسيا بحراً، ما أدى إلى فتح مسارات تجارية جديدة مع الشرق، وأسهم في تنامي التجارة الأوروبية وتعزيز هيمنتها.

وفي المراحل الأولى من عصر الكشوف الجغرافية، احتلت إسبانيا موقع القيادة بفضل مجموعة من العوامل المتكاملة، فقد كان توحيد المملكة تحت حكم الملكين الكاثوليكيين، إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وفرديناند الثاني ملك أراغون، نقطة تحول كبيرة دفعت البلاد للسعي وراء توسيع قوتها ونفوذها، وشجعت روح المغامرة والتوسع التي هيمنت على تلك الفترة إسبانيا على ترسيخ دورها الريادي[33]، كما فرض استحواذ العثمانيين على طرق التجارة البرية التقليدية مع الشرق تحديات دفعت الإسبان إلى البحث عن بدائل بحرية، ما أدى إلى انطلاق كولومبوس في استكشاف "العالم الجديد"، وخلال أربع رحلات بين عامي 1492 و1504م، تمكن كولومبوس من بلوغ جزر الكاريبي مثل كوبا

[32] **الشيخ**، رأفت غنيمي: **أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ط1، ص11-12.

[33] **عمر**، عبد العزيز عمر: **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص75.

وهايتي وجامايكا وترينيداد، إضافة إلى استكشاف سواحل أمريكا الوسطى والشمالية لأمريكا الجنوبية[34].

مع انطلاق رحلته الثانية، لم يعد هدف كولومبوس مقتصراً على الاستكشاف فقط، بل اتخذ مساراً واضحاً نحو استعمار الأراضي المكتشفة ونشر المسيحية الكاثوليكية تحت راية إسبانيا، حيث تمكن كولومبوس من إقناع الملكين الإسبانيين بتمويل رحلته التاريخية، ليصل إلى جزيرة سان سلفادور، التي شكلت نقطة دخول إلى القارتين الأمريكيتين، كانت النتائج الرئيسية لهذه الرحلة تدور حول جانبين، الأول: إقدام القيادة الإسبانية على تثبيت ملكيتها للأراضي المكتشفة بسرعة، مدفوعة بتصاعد المنافسة مع البرتغال في مجال الكشوف الجغرافية، الأمر الذي أدى إلى تسريع جهود الاستكشاف والهيمنة الاستعمارية، أما الثاني: فقد فتحت رحلات كولومبوس المجال لمغامرين آخرين لاستكشاف أراضٍ جديدة، مما أسفر عن اكتشاف مناطق واسعة مثل نهر الأمازون، برزخ بنما، مصب نهر ريو دي لا بلاتا، وسواحل البرازيل والمكسيك والبيرو[35].

قام الإسبان بتأسيس مدن جديدة تحولت إلى مراكز حضارية بارزة، مثل ليما، عاصمة بيرو، وبوينس آيرس، عاصمة الأرجنتين، ولم تقتصر أهداف إسبانيا على تحقيق الثروات الهائلة، وإن كانت هذه الأهداف الاقتصادية تحتل الصدارة، لكنها سعت أيضاً إلى نشر المسيحية بين السكان الأصليين، فقد هدفت في البداية إلى جعل المستعمرات مكتفية ذاتياً، لتتحول لاحقاً إلى مورد ربح

---

[34] **الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، ص14.

[35] **عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، ص76.

للتاج الإسباني، بمرور الوقت، طغى طموح الاستغلال الاقتصادي على باقي الأهداف، وأصبحت معظم أراضي أمريكا الوسطى والجنوبية، باستثناء البرازيل، خاضعة للحكم الإسباني.

هذه الأراضي، التي أُطلق عليها فيما بعد اسم "أمريكا اللاتينية"، باتت خاضعة للنفوذ الإسباني لغوياً وثقافياً، حيث أصبحت اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية في هذه المستعمرات. وظلت هذه الأراضي تحت السيطرة الإسبانية حتى اندلاع حركات الاستقلال التي اجتاحت المنطقة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي[36].

ثالثاً: حضارة المايا تحت السيطرة الإسبانية:

1) الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدن المايا قبيل الغزو الإسباني:

تُعدّ التغيرات المناخية، وبالأخص موجات الجفاف الطويلة والشديدة، من أبرز العوامل التي ساهمت في تدهور وانهيار حضارة المايا، فقد أدى التدهور البيئي المصاحب لتغير المناخ إلى فترات جفاف كارثية، نتج عنها نقص حاد في الغذاء وانتشار للمجاعات، حيث كانت مدن المايا تعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية، وخاصة مياه الأمطار، لأغراض الزراعة والشرب، ونظراً لموقعهم في بيئة استوائية، كانت مصادر المياه السطحية مثل الأنهار والبحيرات غير دائمة الجريان

[36] **الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، ص15-16.

أو محدودة، مما جعلهم شديدي التأثر بتقلبات هطول الأمطار، وعندما انخفضت معدلات الأمطار لفترات طويلة، استنزفت هذه الموارد المائية الحيوية وتدهورت الأراضي الزراعية بشكل كبير[37].

من جانب آخر، اتسم شعب المايا بالتنقل النسبي، حيث لم تكن مدنهم ذات طبيعة ثابتة دائمة، بل كانوا يميلون إلى هجر المدن القائمة وتأسيس مستوطنات جديدة في مناطق أخرى[38]، يُعزى هذا النمط جزئياً إلى اعتمادهم على الزراعة بنظام "القطع والحرق"، هذه الطريقة تتطلب إزالة الغابات لإعداد الأراضي للزراعة، لكنها تؤدي إلى فقدان سريع لخصوبة التربة، فلا يمكن عادة زراعة نفس قطعة الأرض بفعالية لأكثر من خمس سنوات تقريباً، حيث تنتشر الأعشاب الضارة وتعيق نمو الذرة الصفراء محصولهم الرئيسي، نتيجة لذلك، كان من الضروري إيجاد حقول زراعية جديدة باستمرار، وعندما تصبح الأراضي المحيطة بالمدينة غير قادرة على توفير المحاصيل، كان سكان المايا يضطرون إلى نقل مدينتهم برمتها إلى موقع جديد، يضاف إلى ذلك، أن المايا كانوا يدفنون موتاهم داخل بيوتهم، وربما دفعهم خوفهم من الأرواح إلى هجر هذه البيوت بعد فترة من الدفن، مما قد يكون عاملاً آخر ساهم في طبيعتهم المتنقلة وهجرهم للمدن[39].

ظهرت بوضوح بوادر الضعف في مدن المايا القديمة، حيث شهدت المدن الرئيسية في الجنوب نزوحاً سكانياً كبيراً باتجاه الشمال، لم يكن هذا التغير في توزيع السكان مجرد حركة طبيعية، بل

---

[37] PETERSON, L and HAUG, G,2005 **Climate and the Collapse of Maya Civilization American Scientist,** vol:93, P322-324.

[38] **رادين، الحضارات الهندية في أمريكا**، ص135.

[39] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص456-457.

عكس تفكك المجتمع في الجنوب وتخلي المدن الكبرى عن دورها، فقد تخلت مدن المايا الجنوبية التي كانت يوماً ما مزدهرة وقوية عن سكانها تدريجياً، مما أفضى إلى تضاؤلها وفقدانها لأهميتها.

كما طرأ تغيير كبير آخر في تاريخ المايا تمثل في انضمام شمال المايا إلى مجتمع التولتك، وبذلك فقد المايا استقلالهم السياسي والثقافي المميز، وانصهروا في مجتمع مختلف، لكن يجدر بالذكر أن بعض مراكز المايا البعيدة، التي كانت تقع على أطراف مناطق النفوذ الرئيسية، استمرت في الازدهار والبقاء حتى مجيء الغزاة الإسبان في القرن السادس عشر الميلادي[40]، وهذا يبرز مدى مرونة وتنوع حضارة المايا حتى في مراحل انحسارها.

لم يقتصر تراجع حضارة المايا على تأثير العوامل الخارجية فحسب، بل ساهمت العوامل الاقتصادية الداخلية دوراً جوهرياً في تقويض بنيتها، فقد أولى قادة ومفكرو المايا اهتماماً بالغاً بتطوير مجالات الفنون والعلوم، وحققوا فيها إنجازات لافتة، بيد أن هذا الانشغال بالجوانب الثقافية كان على حساب عدم العناية الكافية بالنظم الاقتصادية والزراعية، وهما الدعامتان الأساسيتان لاستقرار أي مجتمع وتقدمه، ومع تزايد أعداد السكان بمرور الوقت، تفاقم تأثير إهمال الجوانب الاقتصادية والزراعية، فقد أضحت نظم الزراعة التقليدية عاجزة عن تلبية احتياجات النمو السكاني، وبرزت صعوبات في تنظيم الموارد وتوزيعها بشكل عادل، ونتج عن هذا الخلل في التوازن بين التطور

[40] **الجوهري**، يسرى: **دراسات في جغرافية الانسان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979، ط1، ص272.

الثقافي وتأمين الاحتياجات الأساسية فقدان دولة المايا لقدرتها على توفير سبل العيش لشعبها، مما أضعف هيكلها الاجتماعي والاقتصادي من الداخل[41].

إلى جانب التحديات الاقتصادية والاجتماعية، واجه شعب المايا ضربة موجعة أخرى تمثلت في تفشي الأمراض والأوبئة، فقد اجتاحت مناطقهم أمراض فتاكة كالملاريا والجدري، وربما الطاعون، حيث أن معظم هذه الأوبئة الكبرى ارتبط ظهورها بوصول الأوروبيين إلى القارة الأمريكية [42].

وفي النهاية، شكّل وصول الإسبان إلى منطقة يوكاتان الضربة القاضية التي أنهت ما تبقى من معالم هذه الحضارة العريقة، لم يجد الغزاة الإسبان أرضاً مزدهرة ومجتمعاً قوياً، بل وصلوا إلى منطقة كانت تعاني بالفعل من الضعف والتدهور، استغل الإسبان حالة الوهن والانقسام التي سادت مجتمعات المايا حينها، وقاموا باحتلالهم وتدمير ما تبقى من مدنهم ومراكزهم.

لقد كان الغزو الإسباني عاملاً حاسماً في زوال حضارة المايا، لكنه لم يكن السبب الأوحد، فقد تضافرت مجموعة من العوامل على مدى قرون لإضعاف هذه الحضارة وجعلها هدفاً سهلاً للغزاة.

2) توغل الإسبان في مدن المايا:

عقب نجاح إسبانيا في إحكام سيطرتها على المكسيك، تحولت الأنظار نحو التوسع جنوباً، وبدأت عمليات التخطيط الجاد لاستكشاف واجتياح منطقتي غواتيمالا والسلفادور، لم يأتِ وصول

---

[41] **لنتون، شجرة الحضارة،** ج3، ص398.

[42] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام،** ج4، ص458.

الإسبان على حين غرة بالنسبة للشعوب الأصلية من المايا، ففي عام 1519م، أي قبل سنوات من قدوم الحملات العسكرية الإسبانية الفعلية، كان إمبراطور الأزتك مونتيزوما الثاني قد بعث برسالة إلى شعبي الكيتشي والكاكشيكيل من المايا، محذراً إياهم من اقتراب غزاة قادمين من الشرق، ورغم أن أول بعثة استكشافية إسبانية لم تطأ أرض المنطقة إلا بعد انقضاء حوالي خمس سنوات، إلا أن الأمراض الوبائية المدمرة قد سبقت وصول القوات، حيث تفشت في جنوب غواتيمالا بين عامي 1519 و1520م، ولفهم طبيعة التهديد القادم، أوفد الكيتشي والكاكشيكيل مبعوثين للقاء "هيرنان كورتيس" في المكسيك خلال عامي 1521 و1522م، حيث عرضوا إمكانية إقامة تحالفات معه، والتقى لاحقاً "بيدرو دي ألفارادو"، أحد القادة البارزين تحت إمرة كورتيس، بسفراء من الكاكشيكيل في منطقة سوكونوسكو، مما دفع ألفارادو لاتخاذ قرار غزو غواتيمالا، و بناءً على ذلك، انطلق من المكسيك في أواخر عام 1523م على رأس جيش شمل مئات الجنود الإسبان من المشاة والفرسان، يضاف إلى ذلك أفراد أفارقة (عبيد وأحرار)، وآلاف المحاربين من الناهو وحلفاء آخرين من السكان الأصليين[43].

وعقب إحكام سيطرته على قبائل الكيتشي والكاكشيكيل، نجح ألفارادو في تأسيس مدينة غواتيمالا، وتوسيع نطاق الغزو ليشمل منطقة السلفادور، ليصبح بذلك حاكماً لإقليم غواتيمالا، بالتوازي مع ذلك، تم إخضاع منطقة تشياباس بالقوة عبر حملات عسكرية انطلقت من إسبانيا

[43] Leonard, **Encyclopedia,** vol:1, P90.

الجديدة خلال الفترة من 1523 إلى 1528م، وفي سياق آخر، كلف كورتيس "كريستوبال دي أوليد" بمهمة فتح واستيطان هندوراس، وتجدر الإشارة إلى أن الملك كان قد عين بالفعل حكاماً آخرين لهذه المنطقة، لكن أوليد سعى للاستقلال عن سلطة كورتيس، ورغم أن أوليد حقق في البداية نصراً على "جيل غونزاليس دي أفيلا"، إلا أنه لقي هزيمة لاحقاً وقتل على يد أحد أتباع كورتيس، ثم قاد كورتيس بنفسه حملة برية إلى هندوراس، مروراً بمناطق تاباسكو وبيتين، وتمكن من فرض سيطرته هناك قبل أن يعود إلى المكسيك[44].

استمرت عمليات التوسع العسكري في ربيع عام 1529م، بقيادة خورخي، شقيق ألفارادو، حيث امتدت حملاته جنوباً لتصل إلى سان سلفادور، واستهدفت أيضاً قبائل الكيتشي ومجموعات أخرى من شعوب المايا، وقد نجح خورخي في ترسيخ الوجود الإسباني في سان سلفادور وتشيابا وسان ميغيل، وفي عام 1530م، عاد ألفارادو إلى غواتيمالا، حيث استسلمت قبائل الكاكشيكيل بعد أن أنهكتها وطأة الجزية الثقيلة وأعباء أعمال السخرة المفروضة عليها، وفي عام 1535م غادر ألفارادو غواتيمالا متوجهاً إلى إسبانيا عبر هندوراس، في خطوة يُرجح أنها كانت لتجنب مواجهة "ألونسو دي مالدونادو"، حيث كان مالدونادو قد أرسلته محكمة إسبانيا الجديدة (الأودينسيا) للتحقيق في اتهامات خطيرة تتعلق بوحشية ألفارادو، بعد أن قدر الراهب الدومينيكي "بارتولومي دي لاس كاساس" أن ألفارادو وإخوته كانوا مسؤولين عن وفاة ما يقرب من 4 ملايين من السكان الأصليين في غواتيمالا،

[44] **لانجر**، وليم: **موسوعة تاريخ العالم**، تر: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مصر، 1963، ج4، ص1300.

و فور توليه السلطة في عام 1536م، سارع مالدونادو إلى تخفيف الأعباء المفرطة التي كانت مفروضة على السكان الأصليين، واستمر في حكم الإقليم حتى عام 1539م[45].

تمكن الحاكم الملكي فرانسيسكو دي مونتيهو من إتمام عملية إخضاع منطقة هيجويراس بشكل كامل، وخلال هذه الفترة قام بتأسيس مدينة كومایاغوا، وعند عودة ألفارادو استعاد ولاية الحكم، إلا أن وفاته في عام 1541م أدت إلى تفكك الإدارة الحكومية وانتشار الفوضى والاضطراب، وقد شهدت هذه الحقبة أيضاً قمع تمرد خطير نفذته قبائل المايا، أما منطقة تاباسكو، التي كانت قد استوطنت في مرحلة مبكرة، فقد وُضعت تحت إدارة مونتيهو، ونجح هو وابنه في استعادة السلام والنظام فيها خلال الفترة الممتدة من عام 1529 إلى عام 1540م، والجدير بالذكر أن إقليم بيتين ظل خارج نطاق السيطرة الاستعمارية حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي[46].

وبهدف تعزيز سلطة التاج الملكي وتوحيد النظام الإداري في المستعمرات، أصدرت إسبانيا قراراً في عام 1543م بإنشاء "محكمة الحدود"، المعروفة أيضاً باسم "الأودينسيا دي لوس كونفينيس"، مُنحت هذه المحكمة سلطات قضائية وإدارية شاملة تغطي أقاليم هندوراس–هيجويراس، وغواتيمالا، وسان سلفادور، ونيكاراجوا، وكوستاريكا، وتشياباس، وتاباسكو. يضاف إلى ذلك، امتدت صلاحياتها

(45) Leonard, **Encyclopedia**, vol:1, P91.

(46) **لانجر، موسوعة تاريخ العالم**، ج4، ص1301.

القضائية القانونية لتشمل إقليم يوكاتان. وقد باشر أعضاء المحكمة مهامهم رسمياً في عام 1544م، وتم اختيار مدينة جراسياس آ ديوس كمقر رئيسي لها[47].

3) سقوط حضارة المايا:

واجه الغزاة الإسبان مقاومة باسلة من دول المايا المتبقية، بيد أن بسالة المايا لم تكن كافية لتعويض الفجوة الهائلة في القدرات العسكرية وخاصة القوة النارية، الأمر الأكثر فتكاً كان افتقار شعب المايا للمناعة ضد الأمراض التي جلبها الأوروبيون، وخلال العقدين الأولين من التواجد الإسباني، اجتاحت أوبئة مميتة مثل الجدري مناطق المايا، حاصدةً أرواح مئات الآلاف، وبحلول عام 1527م، كانت الممالك الجنوبية قد سقطت تحت السيطرة الإسبانية، وتلتها الممالك الشمالية بحلول عام 1546م، ومع ذلك استمرت بعض شعوب المايا في الغابات الجبلية النائية في الصمود حتى عام 1697م[48]، لم يقتصر هدف الغزاة على السيطرة العسكرية، بل كان مسعاهم الأول محو آثار حضارة المايا ومعارفها، وفور إحكام قبضتهم على البلاد، توجهوا لاستهداف العلماء وحملة التراث الفكري الذين كانوا يحفظون هذا الإرث، وفي عام 1562م، قام أسقف يوكاتان، "دييغو دي لاندا"، بجمع مئات المخطوطات الثمينة التي كانت تحوي كنوزاً من علوم التاريخ والفلك والرياضيات، وأمر بإحراقها علناً في ساحة بلدة "مريدا"، ولم يسلم من هذا الدمار سوى عدد محدود جداً من

(47) Leonard, **Encyclopedia**, vol:1, P92.

(48) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P81.

المجلدات التي شُحنت إلى أوروبا، وتُعد مخطوطة درسدن الأثرية أبرز ما تبقى من الشواهد على ثراء إرث المايا المكتوب[49].

على الرغم من سلسلة الكوارث هذه، لم يستسلم شعب المايا. لقد قاوموا النفوذ الإسباني حتى سقوط آخر معاقلهم، تياسال في غواتيمالا، عام 1697م. كما واجهوا بشراسة محاولات فرض المسيحية عليهم، لكن محنة المايا لم تنتهِ بانتهاء الغزو؛ فقد عانوا لقرون تالية من التمييز العنصري، بدايةً من المستعمرين الإسبان، ثم من سلالتهم، اللادينوس، الذين واصلوا الاستيلاء على أراضيهم وتهميشهم[50]، يضاف إلى ذلك الاحتلال، ارتكب الغزاة مجازر بشعة بحق السكان الأصليين، مستخدمين أبشع أساليب التعذيب والإهانة لإخضاعهم، وتروي سجلات المايا عن تلك الفترة الحالكة قائلة: "شرعوا في شنق رجالنا وحرق أيدينا بالنار، واختطفوا أبناء زعمائنا الأثرياء كرهائن"، وبعد القضاء على قياداتهم، وقتل الكهنة، ومنع معتقداتهم، وحرق كنوزهم المعرفية من الكتب، انطفأت شعلة حضارة المايا، وفي غضون سنوات قليلة فقط، نجح الأوروبيون بوحشية لا نظير لها في تدمير ما عجزت عنه قرون من الحروب والأوبئة والمجاعات[51].

---

[49] **لنتون، شجرة الحضارة**، ج3، ص397.

[50] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P82.

[51] **خوري**، موسى: **المايا اكتشاف حضارة عريقة**، وزارة الثقافة، سورية، د.ت، ص49.

الخاتمة:

ختاماً، يتضح بجلاء أن الغزو الإسباني لم يكن مجرد عامل إضافي في مسار حضارة المايا، بل كان بمثابة الضربة القاسمة والتحول الجذري الذي حدد مصيرها بشكل لا رجعة فيه، ففي حين أن بعض التحديات الداخلية ربما كانت قائمة وساهمت في إضعاف جوانب معينة قبل قدوم الأوروبيين، إلا أن وصول الغزاة أطلق سلسلة من الكوارث المدمرة التي تجاوزت بكثير مجرد الصراع العسكري غير المتكافئ، لقد كانت موجة عاتية من التغييرات الشاملة التي اجتاحت كافة جوانب الحياة المايانية بعنف وقسوة.

لم يقتصر الأمر على التفوق في السلاح، بل تضافرت عوامل فتاكة أخرى: الأمراض الوبائية التي وفدت مع الأوروبيين وحصدت أرواح الملايين ممن لا يملكون مناعة ضدها، وحروب الإبادة المستمرة التي استهدفت القضاء على المقاومة، والاستغلال الاقتصادي الوحشي الذي نهب الثروات وحطم البنى الاجتماعية والاقتصادية القائمة، والأهم من ذلك كله، حملة القضاء الممنهج والهمجي على المعتقدات، والممارسات الثقافية، والمعارف المتراكمة عبر قرون بما في ذلك حرق النصوص الثمينة التي كانت تحوي خلاصة علومهم وتاريخهم، وتدمير المراكز الروحية، واستهداف حملة هذا الإرث من الكهنة والعلماء، كل هذه العوامل تضافرت لتفكك البنية الاجتماعية، والروحية، والفكرية لهذه الحضارة العريقة بشكل يصعب ترميمه على المدى القصير.

لقد كانت آثار هذا الغزو عميقة وطويلة الأمد، فبشكل مباشر، تم تدمير المدن والمراكز الدينية والثقافية، ونهب الثروات بلا هوادة، وتشتيت السكان الأصليين وإخضاعهم لنظام استعماري قمعي استمر لقرون متصلة، ومُحيت جوانب لا تُحصى من المعرفة والتقاليد المايانية الأصيلة، وحلت محلها ثقافة، ولغة، ودين المستعمر بالقوة والقسر، في محاولة لطمس الهوية الأصلية تماماً.

إن استعراض هذه الفترة الحالكة لا يمثل مجرد سرد تاريخي، بل يبرز بوضوح أهمية فهم التاريخ من منظور متعدد الأوجه وشامل، مع الاعتراف العميق بالتأثير المدمر للقوى الخارجية، خاصة عندما تكون مدفوعة بالجشع والتعصب، على المجتمعات الأصلية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية والمترجمة:

1) **تـــدمري**، محمـد غـازي: **حضـــارات التـــاريخ الكبـــرى**، دار الكتـاب العربـــي، دمشـق– القاهرة، 2017، ط1، ج2.

2) **الجـــوهري**، يسـرى: **دراســات فـــي جغرافيـــة الانســـان**، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، مصر، 1979، ط1.

3) **خوري**، موسى: **المايا اكتشاف حضارة عريقة**، وزارة الثقافة، سورية، د.ت.

4) **د.كـــو**، مايكـل، **ســـتون**، مـارك فـان: **قـــراءة رمـــوز المايـــا**، تـر: عـزة عـزت وأحمـد منصور، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011.

5) **راديـــن**، بـول: **الحضـــارات الهنديـــة فـــي أمريكـــا**، تـر: يوسـف شـلب الشـام، دار المنـارة، دمشق،1989، ط1.

6) **رودريجـــث**، أوخينيـو، **ثقافـــة وحضـــارة أمريكـــا اللاتينيـــة**، تـر: عبـد الحميـد غـلاب وأحمـد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998.

7) **شـــورز**، ولـيم: **هـــذا العـــالم الجديـــد حضـــارة أمريكـــا اللاتينيـــة**، دار نهضـة مصـر، القـاهرة، 1970.

8) **الشـــيخ**، رأفـت غنيمـي: **أمريكـــا والعـــالم فـــي التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر**، عـين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ط1.

9) **عمـــر**، عبـد العزيـز عمـر: **التـــاريخ الأوروبـــي والأمريكـــي الحـــديث**، دار المعرفـة الجامعية، مصر، 2000.

10)**لانجـر**، ولـيم: **موسـوعة تـاريخ العـالم**، تـر: محمـد مصـطفى زيـادة، مؤسسـة فـرانكلين للطباعة والنشر، مصر، 1963، ج4.

11) **لنتـون**، رالـف: **شـجرة الحضـارة**، تـر: أحمـد فخـري، تقـديم: أحمـد الشـلق، الهيئـة العامـة المصرية للكتاب، القاهرة، 2010، ج3.

12) **موســينيه**، رولان، **لابــروس**، أرنســت: **تــاريخ الحضــارات العــام**، منشـورات عويـدات، بيروت، د.ت، ج4.

13) **مـؤنس**، حسين: **الحضـارة دراسـة فـي أصـول وعوامـل قيامهـا وتطورهـا**، عـالم المعرفـة، الكويت، 1978.

14) **نجـــم**، حســن طــه: **أمريكـــا اللاتينيـــة أرضـــاً وســـكاناً**، مطبوعـات جامعـة الكويـت، الكويت، 1990، ط1.

المراجع الأجنبية:

1) CHARLES and GEORGE, L-2010, **Maya Civilization**, Lucent Books, United States of America.
2) DEAMREST, A-2004, **Ancient Maya, The Rise and Fall of a Rainforest Civilization**, Cambridge University Press, Newyork.

3) GENDROP, P1978- **Les Mayas,** Presse Universitaire De France, Paris, Ed:1.

4) **Leonard**, T,2010, **Encyclopedia of Latin America**, Facts On File, Inc. An Imprint of InfoBase Publishing, New York, Vol:1.

5) PETERSON, L and HAUG, G,2005 **Climate and the Collapse of Maya Civilization American Scientist,** vol:93.

6) **THOMPSON**, J -1978, **Grandeur Et Décadence De La Civilisation Maya,** Payot, Paris ,1958.